

عدن .. المدينة الميناء رؤية تاريخية في أسباب وزمان التسمية

د. محمد عبدالله بن هاوي باوزير*

الملخص:

تعدد الآراء في أصل تسمية عدن، واختلفت التفسيرات في معناها ، بل تفنن البعض في تعليل اسمها بتعليلات لم تكن تخلو من مبالغة حيناً ، وطرافاة أحياناً. فأعطت المصادر الكلاسيكية (اليونانية والرومانية) تعليلات مختلفة لاسم عدن، كذلك أعطى المؤرخون والجغرافيون العرب والمسلمون للاسم معاني كثيرة ومختلفة، إلا أنها لا تقل اضطراباً وغموضاً عن المصادر الكلاسيكية في تعليل الاسم ، أيضاً أعطت المعاجم اللغوية لعدن مفاهيم عديدة ومتتشابهة في المعنى .. وهكذا نجد نفسنا أمام تفسيرات وتعليلات مختلفة لتسمية عدن ، وعدم الوصول إلى نتائج حاسمة لأصل الاسم وتفسيره ومعرفة نسبته ، ومهما اختلفت الآراء والتفسيرات حول أصل التسمية فإن جميع المصادر التاريخية القديمة - الكلاسيكية والعربية ، وكذا الدراسات الحديثة ، العربية منها والغربية تؤكد على عراقة عدن التاريخية كميناء تجاري ، ومحطة تجارية هامة بين الشرق والغرب منذ عهود ما قبل الإسلام .

أما عن أقدم ذكر لتسمية المدينة (عدن) فقد جاء في التوراة في الإصلاح السابع والعشرين من سفر حزقيال ، مقروناً بأهمية عدن كميناء وموقع تجاري هام – إلى جانب حواضر من العربية الجنوبية، وأخرى في شمال الجزيرة العربية ، وفي هذا السياق أيضاً ورد ذكر عدن في بعض النصوص أو النقوش القديمة (لعلها نقشان هما اللذان انفردَا بذكر لفظة عدن) ، أحدهما بخط المسند العربي الجنوبي ، ويرجع تاريخه إلى القرن الثالث للميلاد ، والأخر كتب باليونانية ، ثُمَّ عليه في (قط) بصعيد مصر ، ويعود تاريخه إلى القرن الأول للميلاد. ولا ننسى أيضاً أن هذا الاسم قد تردد (عرضاً – بشكل محدود) في الشعر الجاهلي ... وسوف نناقش في هذه الورقة العلمية المختصرة المتواضعة كل ما تقدم ذكره ، مع طرح بعض التساؤلات الافتراضية ومناقشتها ، ولعل في هذا البحث ما سيقودنا إلى النتائج المرجوة فيما هو متعلق بالتسمية ، والتساؤلات هي :

لا أحد يعرف على وجه الدقة لماذا سميت عدن بهذا الاسم – وهل مازال الأمل ضئيلاً بما هو متاح حالياً من مصادر ودراسات للوصول إلى جواب صائب أو أقرب إلى الصواب؟ وماذا عن هذه المدينة الموعنة في القدم ، وعن تسميتها وتاريخها

* أستاذ تاريخ اليمن والجزيرة العربية القديم المشارك بكلية التربية – صبر- قسم التاريخ ، وكلية الأداب – قسم الآثار (جامعة عدن)

وحضارتها في ضوء النقوش المسندية وغيرها؟ حتى النقشان اللذان انفردا بـ«البقاء» على قدم التسمية لا وجود لهما (نسخ أو صورة) في متحفنا أو مكتباتنا أو .. فأحدهما في المتحف البريطاني والأخر في مصر .

- ألم يحن الوقت لعدم الاعتماد في تفسير اسم هذه المدينة القديمة على الاستلاقات اللغوية ، لعهود قد تكون سابقة لانتشار اللغة العربية ، ولماذا لا يقوم الباحث - لاسيما اليمني - بتمحيص الاسم بوضع فرضية تختلف عن الفرضيات أو النظريات السابقة ، فربما سيؤدي ذلك للوصول إلى شواهد قد تعطى لنا نتائج حاسمة لتفسير اسم عدن وتعليقه ، ومعرفة العهد الذي سميت به ؟

كلمات مفتاحيه :

عدن .. سحر البلاد ، فراده المكان ، عظمة الإنسان ... وجلال التاريخ

١- المقدمة :

تُعد مدينة عدن من المدن العربية الهمامة عبر العصور ، فهي تقع في الركن الجنوبي الغربي من شبه الجزيرة العربية ، وترتبط بين المحيط الهندي والبحر الأحمر ، ولعلها بهذا الموقع تُعد من أهم الموانئ اليمنية ، لأنها تتحكم بالمدخل الجنوبي للبحر الأحمر ، مما أعطاها أهمية إستراتيجية عظيمة ، جعلها مركزاً تجارياً هاماً يربط بين الشرق والغرب .. لذلك يصبح أن نقول إن الطبيعة قد خصّت عدن بموقع جغرافي متميز ، هيأتها لتكون مدينة تجارية تنمو وتزدهر باضطراد ، وليس أدلة على ذلك من أن تاريخ نشوء المدينة وأصل تسميتها مازال غير معروف حتى الآن ، لأنها وجدت لتبقى منذ فترة موغلة في القدم ، ولقد ورد ذكرها في أقدم المصادر التاريخية والجغرافية القديمة ، وحيث مازالت هذه - المدينة الميناء- تستمد أهميتها حتى اليوم من موقعها المتميز على الساحل الجنوبي .^[١]

ولعل من الأفضل هنا أن ندخل في صميم البحث ، بأن نبدأ بتحديد كلمة (عدن) كاسم للمدينة والميناء ، ومعرفة العهد الذي سميت به ، والتي ظهرت في العديد من المصادر التاريخية القديمة ، كالتوراة ، والمؤلفات الكلاسيكية ، والنقوش ، والمعاجم اللغوية ، والشعر الجاهلي ، ومؤلفات المؤرخين والجغرافيين العرب القدماء ، وذلك حتى يتتسنى لنا معرفة أصل هذه الكلمة ، أقدم ذكر لها ، أو معرفة العهد الذي سميت به .. ومن هذا المنطلق سيسعى الباحث أن يتحدث عن هذه الكلمة ومدلولاتها ، حتى يصل إلى النتائج المرجوة .. أما منهج البحث فقد استخدم الباحث أسلوب المنهج التاريخي المعتمد على الشرح والتحليل في أصل التسمية ، وملتزمًا بذلك المعلومات كما وردت

[١] محمد ، محمد أحمد : عدن من قبيل الإسلام وحتى إعلان الدولة العباسية ، ط١ ، دار الثقافة العربية الشارقة ، ودار جامعة عدن ، ٢٠٠١م ، ص٤٦-٤٦ . وانظر الخارطة .

في المصادر التاريخية القديمة بما فيها من آراء وتفسيرات غالب على الكثير منها جو الأساطير والخرافات دون تحريف أو تبديل ، مع وضع رؤى وفروض ربما نصل من خلالها إلى وجهات نظر صائبة أو أقرب إلى الصواب . أما جوهر العمل فقد توزع على عدة محاور وجاءت كما يلي:-

٢- عدن في التوراة:

ورد في الإصلاح السابع والعشرين من سفر حزقيال ذكر (تجارشبأ) وأنواع السلع التي كانوا يتاجرون بها ، وفي هذا السياق ورد اسم عدن كميناء أو مركز تجاري ، ومعها الميناء الرئيس لحضرموت القديمة (كنة) أي قنا – بير علي حالياً ، "تجارشبأ" ورمعة هُم تجارت ، بأفخر كل أنواع الطيب وبكل حجر كريم والذهب أقاموا أسواقك . حَرَّان وَكَنْهَة وَعَدْن تجارشبأ وآشور وكل مد تجارت . هؤلاء تجارت بنفائس ، بأردية اسمانجونية ومطرزة وأصوفة مبرم معكومة بالحبار مصنوعة من الأرز بين بضائعك "[١]" .

وإذا كان صحيحاً ذكر الاسم عدن في حزقيال ، فهذا يعني أقدم ذكر لإسم المدينة عدن – دون إعطاء أي تعليق أو تفسير للاسم ، بل صحة ذلك الخبر يضع مدينة عدن في مصاف حواضر العالم القديمة "[٢]" ، كميناء تجاري بلغ أهمية معينة قبل أكثر من (٢٥٠٠ عام) على الأقل "[٣]" ، إلا أن بعض المصادر تبدي شكوكاً حول موقع عدن المقصود في سفر حزقيال ، وأن ما قصد بها في الواقع هي (عُدُن) وزعموا أنها حوض الفرات ، وأن (شبأ) مستوطنة أو جالية سبئية في شمال الجزيرة العربية "[٤]" .

٣- عدن في المؤلفات الكلاسيكية :

يُذكر ميناء عدن في المصادر الكلاسيكية باعتباره مركزاً قديماً لتبادل السلع الإفريقية ، والهندية ، والمصرية ، وسلح بلاد العرب ، إذ تطلق السفن من هذه المناطق إلى ميناء عدن ، ومنه – أيضاً – تعود إلى تلك المناطق "[٥]" ، لذلك فعدن بلدة قديمة لعبت

[١] التوراة : سفر حزقيال ص ٦١٢ (العهد القديم ، دار الكتاب المقدس ، القاهرة ، ط ٥ ، ٢٠٠٦ م)

[٢] يُعتقد أنه كتب ستة قرون قبل الميلاد ، وبذلك تكون عدن كميناء تجاري بلغ أهمية معينة قبل أكثر من (٢٥٠٠ عام) على الأقل .

[٣] محيرز ، عبدالله أحمد : العقبة – دراسة تحليلية جغرافية وتاريخية لجانب من مدينة عدن ، وزارة الثقافة ، لابت ، ص ٢١.

[٤] محيرز : المرجع السابق ، ص ٢١. نقاً عن: R.J.Gavin : Aden under the British Rule(1839- 1967), London.1975,p.355.

[٥] Schoff wilfeld: The peripuls of the Erythraean sea. New York ,1912,chapter26,p.32

دروأً بارزاً في تاريخ اليمن قديمه ، ووسطيه ، وحيثه . الأمر الذي جعلها من أكثر المدن اليمنية شهرة^[٢].

لذلك أطلق عليها الكتاب الكلاسيكيون عدة أوصاف دون ذكر لاسمها ، فصاحب الطواف (The periplus) يصف موقعاً (المدينة الميناء) شرق باب المندب في خليج عدن صالحًا كميناء ، ومرسى للسفن ، تتتوفر فيه المياه العذبة ، وينعزل عن البر ، فهو " Beyond Ocelis , the sea widening again to ward the east and soon giving a view of the open ocean , after about 1200 stadia there is (Eudaemon Arabia) , ... ".

((وبعد أو كليس (الشيخ سعيد) ، ينفرج البحر للمتجه نحو الشرق وعلى بعد ١٢٠٠ إستاديًّا توجد العربية اليوديمونية ...)) أي العربية السعيدة^[٤].

وهذا وصف أقرب انتقاماً على عدن من عدة مواقع في الساحل اليمني لخليج عدن ، وأطلق عليها ما يطلقه الكتاب الكلاسيكيون على اليمن القديم جميعه ((العربية السعيدة))^[٥] ، فهو وصف بالازدهار والرخاء والثراء ، ولعله ينطبق على عدن كميناء ومركز تجاري هام ، يلتقي فيه تجار الشرق والغرب .

ويصفها بطليموس [٦] بأنها فرضة بلاد العرب أو بلاد العرب التجاري (Arabia Emporion) ، وقد كانت مركزاً لتبادل السلع الإفريقية والهندية والمصرية ، ومكاناً تجر منه السفن إلى الهند والعكس^[٧] . ومن الصعب هنا إثبات ما قصده بطليموس ، فهو كصاحب الطواف لم يذكر اسم عدن ، ونحن نبحث عن هذا الاسم وتعليله ، وطالما لم نقف إلا على أوصاف كفرضة العرب أو العربية السعيدة أو غيرها من الأوصاف فمن المحتمل أن تكون هذه الأوصاف لموقع المدينة الميناء عدن ، أو ربما قصد المصدران الكلاسيكيان السابقاً الذكر موقع أخرى ، ولعلنا نكون بذلك أمام العديد من التأويلات ومنها:

إذا صحّت نسبة عدن إلى عدن حزقيال في التوراة ، تكون بذلك من أقدم الحواضر والموانئ التجارية في العالم القديم، وإذا كان صحيحاً ما قيل أيضاً عن ورود

[٢] الهمданى ، الحسن بن أحمد : صفة جزيرة العرب ، تحقيق محمد بن علي الاكوع ، ط ١ ، مكتبة الإرشاد ، صنعاء ، ١٩٩٥م ، ص ٩٤ . وأبو عبد الله الطيب بامخرمة ، تاريخ ثغر عدن ، تحقيق لوفغرين ط ٢ ، دار التتوير ، بيروت ، ١٩٨٦م ، ص ١٧.

[٣] The periplus ..ch.26,P.31-32,115 .

[٤] محيرز : المرجع السابق، ص ٢٢ . والمعروف أن الكلاسيكيون يطلقون هذا الوصف ((السعيدة)) وهو وصف يقتربن بالازدهار والرخاء والثراء، كذلك يرى البعض أنه ينطبق أيضاً على موطن البخور مملكة حضرموت ، وهناك من يراه بشكل أوسع أي يطلق على العربية الجنوبية .

[٥] علي ، جواد : المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام ، ط ١ ، دار العلم للملاتين ، بيروت ، ١٩٧١م ، ج ٧ ، ص ٢٧٤ .

[٦] علي ، جواد : المفصل ج ٧ ، ٢٧٤ . وعبد الله محيرز : المرجع السابق، ص ٢٣ .

اسم عدن في النقوش ومنها نقش باليونانية ، يعود تاريخه إلى القرن الأول للميلاد ، عثر عليه في (فقط) في صعيد مصر [١٢].. وبذلك تكون عدن معروفة قبل عهدهما . إذاً يفترض ذكر اسم عدن من قبل المصدررين الكلاسيكيين السابقين – وهم متعارضان – بدلاً من قيامهما باستخدام صفة لاسم عدن ، علمًا بأن عدة مواقع في العربية الجنوبية تحمل هذه الصفات (فرضة أو مركز تجاري ..) ولكن ورد ذكرها بأسمائها عند الكلاسيكيين ، كمزع وقنا، وأوكليس (الشيخ سعيد) ، وسمهرم – موشا (خور روري) وغيرها.

وعدا ما سبق يحدثنا جواد علي (الدكتور) عن أسماء نسبت إلى عدن ، فهي [١٣]: (Adana) و (Adane) عند مؤلف كتاب "جزيرة العربية" (أورانيوس [١٤])، ويبدو أنه واحد من العرب الأنباط ، أو على الأقل عاش في جهات مملكة الأنباط ، وكانت لديه معلومات جيدة عن شمال الجزيرة العربية وجنوبها وفقاً لما جاء في مؤلفه ، وكان الجزء الثالث منه مكرساً للعربية الجنوبية [١٥]، وربما قصد من الاسمين السابقين (عدن المدينة الميناء) .

وعند بليني (أتن – Athene [١٦]) ، وكان بليني غالباً ما يتحدث عن شمال الجزيرة العربية وجنوبها وفضلاً عن الوصف الجغرافي والقوائم العديدة لأسماء الأماكن ، ووصفه المطول للنباتات العطرة في بلاد اليمن ، كذلك يتحدث عن الملاحة اليونانية – الرومانية نحو الهند والتجارة العربية للطيوبي من موزع (القرية من المخ حالياً) [١٧] ، ولعله بذلك سيكون على علم تام بأسماء الموانئ المطلة على المحيط الهندي والبحر الأحمر ، لذلك ربما قصد بـ (أتن) عدن الميناء التجاري [١٨] .

ونُعت هذا الموضع عند الرومان بفرضة الرومان (Romanian Emporion) أي المركز التجاري الروماني) ، وقد كان مركزاً لتبادل السلع الأفريقية والهندية والمصرية [١٩] ، وذلك بفضل موقعها المتميز على الساحل الجنوبي لليمن والقريب من

[١٢] سيأتي الحديث عن النقش لاحقاً . وانظر : محيرز : المرجع السابق، ص ٢٤ .

[١٣] علي ، جواد : المفصل ، ج ٢ ، ص ٦٢ . والموسوعة العربية الميسرة ، دارة إحياء التراث العربي مجلد ٢ ، ص ١١٩١ .

[١٤] أورانيوس : يبدو أن كتابه يرجع إلى فترة "بليني" وكتاب " الطواف حول البحر الارتيري " - The "periplus

[١٥] بلاد اليمن في المصادر الكلاسيكية ، ترجمة حميد مطيع العواضي وعبد الطيف الأدهم ، ط ١ ، وزارة الثقافة ، صنعاء ، ٢٠٠١ م ، ص ٤١،٥١ .

[١٦] محيرز : المرجع السابق ، ص ٢٤ .

[١٧] العواضي والأدهم : المرجع السابق ، ص ٤٥-٥١ .

[١٨] المعروف أن المؤلفات الكلاسيكية عن جزيرة العرب فيها معلومات كثيرة ، ورغم ذلك نجدها لا تخلو من الأسماء الغير واضحة أو المصحفة وغيرها من المعارف الغامضة.

[١٩] علي ، جواد : المفصل ، ج ٧ ، ص ٢٧٤ .

باب المندب ، المدخل الجنوبي للبحر الأحمر ، بل جعلها ذلك عرضة للخطر الدائم ، وممكناً للغزاة والطامعين ، فمثلاً بعد أن ضمنت القوة البحرية الضخمة للرومانيين السيطرة على البحر الأحمر وعلى البحر العربي ، استطاعت احتلال عدن، ففي أيام كلوبيوس (٤١-٤٥ م) كان هذا الميناء في قبضة الرومان ، وكانت به حامية رومانية [٢٠]، ثم وقعت المدينة تحت الاحتلال الحشبي (٥٢٥-٥٧٥ م) [٢١] ومن ثم الاحتلال الفارسي (٥٧٥ م) ، الذي انتهى بظهور الإسلام وانضواء اليمن تحت لوائه [٢٢] .

٤- عدن في المصادر النقشية:

الآثار والنقوش هي أول ما يجب الرجوع إليه للتعرف على عدن القديمة ، ومدلولات هذا الاسم ، ومعرفة العهد الذي سميت به ، والرجوع - أيضاً - إلى ما سيurther عليه من مخطوطات أو ما قد تم العثور عليها ولم تدرس بعد .

ويحدثنا الأستاذ عبدالله محيرز عن نقشين هامين انفرداً بإلقاء الضوء على تسمية المدينة : أحدهما من النقوش اليمنية القديمة (بخط المسند) وهو النقش رقم (٥) من نقوش المعسال ، وقد نشرت حوله دراسة ترجع تاريخه إلى القرن الثالث للميلاد تقريباً ، وقد ذكر فيه اسم عدن [٢٣] .

أما الثاني فهو نقش باليونانية ، عثر عليه في (فقط) مدينة على النيل في صعيد مصر ، ويبعد أنها كانت على علاقة تجارية مع عدن [٢٤] ، وبحسب المصادر الكلاسيكية أن ميناء عدن كان مركزاً مهماً لتبادل السلع الأفريقية ، والهندية ، والمصرية ، وسلع بلاد العرب ، وكانت تتطرق السفن من هذه المناطق إلى ميناء عدن ، ومنه تعود - أيضاً - إلى تلك المناطق [٢٥] ، فمثلاً كانت السفن القادمة من مصر ترسو في ميناء عدن ، ثم تواصل سيرها إلى سواحل أفريقيا ، أو يتجهون نحو الهند [٢٦] .

[٢٠] علي، جواد : المفصل ، ج ٧، ص ٢٧٧.

[٢١] الطبرى، أبي جعفر محمد بن جرير : تاريخ الامم والملوك ، دار الفكر ، ١٩٧٩ م ، مج ١ ، ج ٢، ص ١٠٦-١٠٨ . مظہر بن طاہر المقدسی : البدء والتاريخ ، مطبعة برجنڈ- شالون ١٩٠٣م ، ج ٣، ص ١٨٥ . وجورج فاضلوا حوراني : العرب والملاحة في المحيط الهندي في العصور القديمة وأوائل القرون الوسطى ، تحقيق د. يعقوب بكر، القاهرة ، لابت ، ص ١٠١ .

[٢٢] الطبرى : الامم والملوك ، مج ١ ، ج ٢، ص ١١٦، ١٢١ .

المقدسی: المرجع السابق ، ج ٣، ص ١٩٥، ١٩٠ . وجورج، حواراني: المرجع السابق، ص ١٠٤-١٠٥ .

[٢٣] محيرز: المرجع السابق، ص ٢٤ .

[٢٤] محيرز : المرجع السابق، ص ٢٤-٢٥ .

^{١٥}The periplus .., ch.26,p.32

[٢٥] علي ، جواد : المفصل ، ج ٧، ص ٢٧٦ .

وهكذا كان لتجار العربية الجنوبية (المعينيون والحضارم ..) علاقات تجارية مع مصر (الطريق البحري)، وكان البحر الأحمر هو المعبر الرئيس لهم إلى داخل مصر ، فكانوا يحملون بضائعهم من موانئ جنوب شبه الجزيرة العربية ، قنا ، وعدن ، إلى البحر الأحمر حتى الميناء البطلمي القصير ، ومنه يتخذ طريقاً برياً في صحراء مصر الشرقية حتى (فقط) على نهر النيل وهي إحدى مديريات منطقة طيبة في العصر بين البطلمي والروماني وهي همسة الوصل بين كل الطرق البرية الداخلية التي تربط البحر الأحمر بالنيل في الصحراء الشرقية ، وسوف نطلق على هذه الطريق مجازاً طريق القصير ، وهو يمتد غرباً من ميناء القصير عبر وادي الحمامات حتى قفط على نهر النيل [٢٧].

ولاشك في أن وجود نقش التاجر المعيني (زيد أَلْ بْنُ زِيدَ) في إقليم منف [٢٨] ، دليل على أن التجارة العربية الجنوبية قد تعدت نطاق الصحراء الشرقية ، ووصلت إلى نهر النيل عند فقط ، ومنها تتجه شمالاً إلى الأسواق المصرية حتى الإسكندرية [٢٩]. ووفقاً - أيضاً - على دليل آخر للعلاقات التجارية بين العربية الجنوبية ومصر ، ووصول شحنات البخور إليها ، قادمة من (قنا وعدن) عبر البحر الأحمر .. حتى فقط على نهر النيل ، وهو نقش يوناني من عهد الملك بطليموس الثامن أيبور جيتيس الثاني وكيلوباترا الثالثة (مؤرخ بالليوم العاشر من توت [٣٠] من العام الحادي والعشرين من حكم الملك بطليموس) عن حراسة القوافل التجارية التي تحمل بخور العربية الجنوبية ، حيث يقوم ايكاديرنوس جورتونيوس حاكم طيبة والمشرف على البحر الأحمر ، بحراسة القوافل التي تأتي إلى إحدى مديريات طيبة (فقط) حاملة البخور مع أجانب آخرين [٣١] [٣٢].

ونخلص مما تقدم أن اسم عدن كمدينة وميناء تجاري موجود منذ القدم ، ولا شك في أن النقشين - سابقي الذكر - دليل على ذلك ، ورغم ذلك نجد أنفسنا (مرة أخرى) أمام جملة من الأسئلة ، تفرض نفسها علينا ، وستتبين من خلالها حقيقة هذه المدينة . ألم

[٢٧] السيد رشدي : العرب في مصر قبل الإسلام - دراسة تاريخية وحضارية ، مصر ، لابت ، ص ٤٢-٤٤.

[٢٨] كتب النقش بحروف عربية جنوبية (خط المسند) على تابوت خشبي لتاجر معيني (زيد أَلْ بْنُ زِيدَ) كان يعيش في مصر .. وإلى جانبه أيضاً عثر على نقش عربية جنوبية وجدت داخل اليمن القديم ، وكذا العديد من الوثائق البردية ونقوش يونانية ومصرية .. وكلها تتحدث عن منتجات بلاد العرب الجنوبية ونشاطهم التجاري مع مصر.

[٢٩] السيد رشدي : المرجع السابق ، ص ٩٢.

[٣٠] شهر (توت) من أسماء الشهور القمرية المصرية القديمة التي أحافظ بها الأقباط .. ولمزيد من المعلومات انظر: أسماء الشهور عند الفراعنة ، مجلة الهلال عدد ابريل ، القاهرة، ١٩٨٤ ، ص ٧١.

[٣١] ربما يقصد بالأجانب الآخرين ، القائمين على التجارة ، أو القادمين من قنا أو عدن .

[٣٢] السيد رشدي : المرجع السابق ، ص ٨٤.

تكن هناك في اليمن . نقوش ذكرت اسم هذه المدينة الميناء ؟ علماً بأن موانئ ومراكل بحرية تجارية عربية جنوبية ورد ذكرها بوضوح في العديد من النقوش اليمنية القديمة كميناء قناً وميناء سمهرم (خور روري) ، وهذه موانئ تابعة لمملكة حضرموت لتصدير البخور وغيرها من السلع ، وكذا ميناء موزا أو موزع على البحر الأحمر (ميناءً وسوقاً تجارياً له شهرة عالمية منذ القرن الأول إلى القرن الثالث الميلادي) ، وبالقرب من هذا الموقع ميناء آخر شهد شهرة عالية كبيرة أيضاً ، هو ميناء (المخ) أو (مخوان – كما في النقوش) وجزيرة سقطرى كأحد المراكز التجارية البحرية الهامة منذ عهود قديمة [٣٣]، كل هذه الموانئ والمراكز التجارية نجدها تذكرة بوضوح ، في النقوش القديمة وكذا في المصادر الكلاسيكية ، بينما الإشارة إلى عدن في هذه المصادر فيها اضطراب وغموض ، وخاصة في المؤلفات الكلاسيكية التي اكتفت بإعطاء عدن صفة بدلاً من ذكر اسمها.

ومن الأسئلة التي تفرض نفسها - أيضاً - أن النقشين البيتين اللذين انفرداً بذكر اسمها عدن ، لا نعرف عنهما شيئاً إلا ما نذر من معلومات وفي مراجع محدودة جداً ، والأهم من ذلك أن هذين النقشين موجودان خارج البلاد أحدهما في المتحف البريطاني ، والآخر في مصر [٣٤]، ألم يحن الوقت لنسخهما كي نتمكن كباحثين من الاطلاع عليهما ودراستهما ، لأن استخلاص الحقائق تعتمد بدرجة رئيسية على الآثار والنقوش . إذاً يبدو أن التعمق لبيان حقيقة عدن كميناء ومحطة تجارية هامة ، ولتبليغ مدلول اسم عدن والوعد الذي سميت به ، سيكون رهنأ بما سيكتشف من النقوش في المستقبل ، بل يبدو أن الحظ سيكون أوفر في سد الكثير من الثغرات في تاريخ عدن لو تم العثور على كتابات أثرية أوسانية ، لأن مملكة أوسان كانت تسيطر على الأجزاء الساحلية من الركن الجنوبي الغربي لجزيرة العربية ، وكان ميناء عدن من أهم الموانئ التابعة لها ، بل يعتبر ميناءها الرئيس ، وكان لأوسان شأن عظيم في التجارة البحرية ، وقد أمتد نشاطها التجاري إلى سواحل أفريقيا الشرقية ، حيث عُرف هذا الساحل بالساحل الأوساني لمدة طويلة حتى القرن الأول الميلادي [٣٥].

[٣٣] لمعرفة المزيد عن هذه الموانئ والمراكز التجارية ، انظر

The periplus ... , ch. 7,p.25,ch24,p.30,ch.26,p.32

وانظر : النعيم ، نورة : الوضع الاقتصادي في الجزيرة العربية – في الفترة من القرن الثالث ق.م وحتى القرن الثالث الميلادي ، ط١ ، دار الشواف ، العربية السعودية ، ١٩٩٢ م ، ص ٢٥٤-٢٥٧.

[٣٤] محيرز : مجلة ريدان عدد (٥) ، ١٩٨٨ م ، (١١٥-١٢٥).

[٣٥] لمزيد من التفاصيل عن أوسان ، انظر : بافييه ، محمد عبد القادر : تاريخ اليمن القديم ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، بيروت ، ١٩٧٣ م ، ص ٢٩-٣٢. وأسمهان الجرو: تاريخ اليمن السياسي لليمن القديم ، ط١ ، دار جامعة عدن للطباعة والنشر ، ٢٠٠٢ م ، ص ٤٥-١٥٩.

ولكن يبدو أنها بتوسعها الساحلي ونشاطها التجاري الواسع ، قد غدت تشكل خطراً على مصالح جارتها مملكتي حضرموت وقنان ، بل وعلى دولة سبا التي أحكم عليها الخناق بحرمانها من أي انتفاع بالسواحل الجنوبية ، لذلك تعرضت أوسان للغزو السبئي في عهد ملكها (كرب إل وتر) وبتحالف قبلي حضري ... وبنهاية القرن الخامس ق.م فقدت أوسان استقلالها . وبحسب المعلومات الواردة في نقش النصر ، أن الملك السبئي - صاحب النقش - كرب إل وتر شنّ ثماني حملات عسكرية على مناطق الأوسانين - دون شك - من ضمنها ميناؤهم الرئيس عن ، وورد في النقش أن مملكة أوسان ضُربت إلى درجة الإبادة ، أي إلى جانب العدد الكبير من القتلى قام بتهديم الأسوار ، وإحراق المدن والعواصم ، وكل ماله علاقة بتاريخ مملكة أوسان وحضارتها لذا وجدنا أنفسنا كباحثين نفقن كثيراً للنقوش الأوسانية ، وبالتالي ضياع الكثير من المعلومات والحقائق عن مناطق الأوسانين وعلى وجه الخصوص ميناؤها الرئيس (عن) ، ومثل ذلك العدوان شنة الرومان على ميناء عن ، وفشل حملتهم (بقيادة اليوس غالوس ٢٤-٢٥ق.م) في القضاء تماماً على النشاط التجاري للموانئ العربية الجنوبية، فقرروا بعد ذلك في العام الأول للميلاد (أيام كلوديوس) شن هجوم مدمر عن طريق البحر على ميناء عن ، وشن نشاطها التجاري بعد ذلك حتى أصبحت مجرد قرية بعد أن كانت مدينة كبرى ، وبذلك - لاشك - فإن الكثير من آثارها ونقوشها لمن تسلم من الدمار [٣٦].

٥- عدن في المعاجم اللغوية وكتابات المؤرخين والجغرافيين العرب القدماء :

عدن بفتح العين والدال ثم نون ، وقد أوردت المعاجم اللغوية لعدن معاني كثيرة منها : عدن بمعنى الإقامة ، وعدن البلد أي سكناها ، وعدنت الإبل أي لزمت مكانها ، وعدن الأرض أي سُمَّدها وهياها للزراعة ، وعدن المكان أي استخرج منه المعدن ، وقيل اشتقت اسم عدن من المعدن وهو معدن الحديد ، والعدن رجال مجتمعون ، وتعطى كل هذه المعاني مدلولات ومفاهيم متشابهة هي : الاستيطان مع ما يجعل الاستقرار ممكناً كالزراعة والرعي والتدعين [٣٧] ، وقيل عدن بالمكان إذا أقام به وبذلك سميت عدن ،

[٣٦] شبيمان ، كلاوس : تاريخ الملوك القديمة في جنوب الجزيرة العربية ، ترجمة فاروق إسماعيل ، مركز الدراسات والبحوث ، صنعاء ، ٢٠٠٢م ، ص ٦٩ . وهناك من يرى أن قيصر رومانيا دمر ميناء عدن .. حول ذلك أنظر : The periplus...p.115 والعبادي ، مصطفى : ميناء الإسكندرية = وخطوط الملاحة العالمية ، "تاريخ سواحل مصر الشمالية" ، سلسلة تاريخ المصريين ، العدد (٢٠٠) ، الهيئة المصرية للكتاب ، ٢٠٠١ ، ص ٦٢-٦٣.

[٣٧] الحميري ، نشوان منتخبات في أخبار اليمن ، ط٣ ، دار التدوير ، بيروت ، ١٩٨٦ ، ص ٦٩ . ابن منظور ، جمال الدين : لسان العرب ، الدار المصرية للتأليف والترجمة ، ط٢ ، دار التدوير ، ١٩٨٦ ، ص ١٥١ . ابن المجاور : صفة بلاد اليمن ومكة وبعض الحجاز ، ط٢ ، دار التدوير ، بيروت ، ج ١٧ ، ١٩٨٦م ، ص ١١٠ . ولمعرفة المزيد عن معاني عدن ، انظر : العبدلي ، أحمد بن فضل ، هدية الزمن في أخبار ملوك لحج وعدن ، ط٢ ، دار العودة ، بيروت ، ١٩٨٠م ، ص ٢٣-٢٩ .

ويرجعها البعض إلى العدون أي الإقامة إذا قام به عدن أبين ، وعرفت بذلك لأن أبين بن زهير بن أين بن الهميسع بن حمير أقام بها لأنها كانت من أعمال أبين وتمييزاً بينها وبين بعض العدنات (كعدن لاعه وهذه قرية صغيرة من أعمال حجة ، بعيدة عن البحر [٣٨]) وفي بعض القرى اليمنية كالحجرية وغيرها تستخدم لفظة عدن أو العدن ، بمعنى أعلى الكتفين، وبمعنى (القاسم) أي العمود الرئيسي لأسقف المنازل ، ولازالت تستخدم هذه اللفظة حتى اليوم.

وفي رواية ما سميت عدن إلا نسبة لعدنان ، لما بناها سماها على اسم ابنه عدن ، فهو صاحب عدن وإليه تنسب [٣٩] ، ويستغرب ياقوت الحموي من ذلك بقوله إن النسابين لا يعرفون ابناً لعدنان اسمه عدن ، ثم يأتي بتفسير لا يقل تكلفاً وطرافة ، فهو اسم أطلقته الحبشة في غزوهم لليمن عندما عبرت سفنهم فخرجوa إلى عدن فقللوا عدونا (عدونه) فسميت عدن بذلك وتفسيرها خرجنا [٤٠] ، وقيل أيضاً ما اشتق اسم عدن إلا من عاد ، كذلك يقال أول من حبس بها رجل يقال له عدن فسميت به ، ويشير المقدسي إلى أنها كانت في القديم حبس شداد بن عاد ، أما ابن المجاور فيقول بأنها كانت حبس للفراعنة ، وفي رواية سميت عدن من العدون وهو الإقامة لأن تبعاً كان يحبس بها أصحاب الجرائم [٤١] .

ويقول الهمداني أن (مقط) هي أحد أسماء عدن القديمة ، موضحاً بأن (مقط التراب) هو المنقطع من الأرض في البحر ، بأنه يصفها بأنها جزيرة أو شبة جزيرة خارجة في البحر . واستشهد على ذلك بقول شاعر اسمه السبط الفيروزي ، وقد ورد على بعض البراماكة وأنشده :

أتياكم من مقط التراب ومنبت الورس والكندر

ولعل الشاعر يقصد أنه جاء من بلاد الطيوب (العربية السعيدة) وميناؤها بحر عدن ، وأن عدن هي مقط التراب ، أو ربما قصد أنه جاء من سوق عدن ، وهي كانت

[٣٨] عمارة بن علي اليمني : المفید في تاريخ صنعاء وزبید ، تحقيق القاضي محمد بن علي الاکوع ، القاهرة ، ١٩٦٧ م ، ص ٦١ . محمد بن أحمد الحجري : مجموعة بلدان اليمن وقبائلها ، تحقيق اسماعيل بن علي الاکوع ، ط١ ، منشورات وزارة الإعلام والثقافة ، صنعاء ، ١٩٨٤ م ، مج ٢ ، ج ٣ ، ص ٥٨٣-٥٨٢ .

[٣٩] الطبری : المرجع السابق ، ج ٢ ، ص ١٩١ . ابن المجاور : المرجع السابق ، ص ١١٠ . والعبدلي : المرجع السابق ، ص ١٩ .

[٤٠] ياقوت الحموي: معجم البلدان ، دار صادر ، بيروت ، ج ٣ ، ص ٦٢٢ . الحجري : المرجع السابق ، ج ٣ ، ص ٥٨٤ . والعبدلي : المرجع السابق ، ص ٢٠-١٩ .

[٤١] المقدسي : ابو عبدالله محمد : أحسن التقسيم في معرفة الأقاليم ، القاهرة ، ط ٣ ، ١٩٩١ م ، ص ٨٥ .. ابن المجاور : المرجع السابق ، ص ١١٠ .

من أسواق العرب التي تفدى إليها عديد من القبائل العربية للتسوق وللشعر والأدب^[٤٢]. ويستمر ابن المجاور بشطحاته الخيالية أو الخرافية عن عدن ، عندما يقول : قال الهنود : (عدن حبس دس) وهو اسم جنّي له عشرة رؤوس ، سكن جبل المنظر ويُطل على رملة حقات ، وسكن بعده (هنومت) حقات وما أخرجهم منها إلا النبي سليمان عليه السلام عند جاء لأرض اليمن من أجل بلقيس . ويضيف ابن المجاور تسميات وتعليقات أخرى ، فهي مشتقة من عاد ، وأن اسمها عند الفرس آخر سكين ، وعند الهنود سيران – هل يبدو ذلك أقرب إلى لفظة صيرة؟ . وعند التجار صيرة ، كذلك يطلق عليها ثغر عن وفرضة اليمن ، أي أنها ميناء ومركز تجاري في ساحل اليمن الجنوبي^[٤٣].

ويستمر جو الأساطير والخرافات عن عدن ، فيقال إن ناراً تخرج من قعره عدن ، ومعناه من أقصى أرض عدن ، وهذه النار هي الحاشرة للناس ، وقيل إن قabil قتل أخيه هابيل في شرقي عدن ، وقيل أيضاً إن قabil هو الذي أسس مدينة عدن وإنه عبد النار بها ومنها نشا المجنوس ، أما بعد الإسلام فقيل ورد ذكر عدن في الأحاديث الشريفة ، فمن كتاب فضل اليمن لأبي القاسم بن علي بن محمد الشافعي ما لفظه : "عن ابن عباس رضي الله عنهما قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : خرج من عدن أبين اثنا عشر ألفاً ينصرون الله ورسوله وهم خير من بيبي وبينك " أخرجه الطبراني ، وقيل أيضاً : إن علي بن أبي طالب عليه السلام دخل عدن وخطب على منبرها خطبة بلية^[٤٤].

٦- عدن في الشعر الجاهلي :

ويبدو أن عدن قد حظيت – أيضاً – ببعض الإشارات في الشعر الجاهلي ، وقد تردد ذكرها – عرضاً وبشكل محدود – في ذلك ، ولا شك في أن الكثير من المدن والمواضر التاريخية اليمنية قد حظيت باهتمام المؤرخين العرب القدماء ، كذلك وجدت لها مكاناً في الشعر الجاهلي ، ومنها مدينة عدن ، وقد ورد ذكرها في شعر لاعشى عن سفره وترحاله بقوله^[٤٥]:

وطأ في العجم ترحالٍ وتسياري

قد طفت مابين بانقيا إلى عدن

^[٤٢] الهمداني : الأكليل ، تحقيق محمد بن علي الاكوع ، مطبعة السنة المحمدية ، القاهرة ، ١٩٦٦ م ، ج ٢ ، ص ٢٧٠ . وعن أسواق العرب ، أنظر : سعيد الافغاني : أسواق العرب في الجاهلية والإسلام ، دار الفكر ، دمشق ، ص ٢٤٠-٢٧٧.

^[٤٣] ابن المجارو : المرجع السابق ، ص ١١١-١١١ . والمقدسي : المرجع السابق ، ص ٣٠ .

^[٤٤] الحجري : المرجع السابق ، ج ٣ ، ص ٥٨٣ ، والعبدلي : المرجع السابق ، ص ٢٠-٢١ . وعن مقتل هابيل ، أنظر : ابن قتيبة : المعارف ، حققه وقدم له د. ثروت عكاشه ، ط٤ ، دار المعارف ، القاهرة ، ١٩٨١ م ص ١٨-١٩ .

^[٤٥] ميمون بن قيس : ديوان الاعشى ، شرحه وقدم له مهدي محمد ناصر الدين ، ط١ ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ١٩٨٧ م ، ص ٨٨ . (بانقيا : مكان بالعراق).

وقال أيضاً [٤٦]:

ألم ترني جوّلت ما بين مأرب
إلى عدن فالشام والشام عاذ
ونجد دوسر بن ذهبل القريري يذكر (عدن) ربما قصدها عدن [٤٧]:
وحتّى قلوصي من عدان إلى نجد
ولم يُنسها أو طانها قدّم العهد
كما ورد ذكرها في شعر عمر بن أبي ربيعة بقوله [٤٨]:
هيئات من أمة الوهاب منزلنا
إذا حلّنا بسيف البحر من عدن
ألا التذكرة أو حظ من الحزن
وأحتل أهلك أجياداً فليس لنا

كما اشتهرت العديد من المناطق اليمنية ببرودها (البرود اليمانية) ونظر لجودتها وشهرتها التجارية ورد ذكرها كثيراً في الشعر الجاهلي (لا يتسع مجال البحث للإضافة في هذه النقطة) ، ويكتفي أن نشير إلى البرود المرتبطة بعدين (البرود العدنية) [٤٩] . كما اشتهرت اليمن قديماً بالطيب وتجارته ومنها الطيب المصنعة ، وكانت عدن مشهورة بصناعة اللطائم وأنواع الطيب، ويقول أبو حيان التوحيدي في ذلك " ولم يكن في الأرض أكثر طيباً ولا أحذق صناعاً من عدن " [٥٠] ، وقد حفظ لنا الشعر الجاهلي أشعاراً كثيرة في ذلك .

تلك كانت الآراء والتفسيرات التي جاءت في بعض كتابات المؤرخين والجغرافيين والشعراء العرب القدماء ، ورغم اتفاقها على شهرة المدينة أو الميناء عدن ، وعلى أهميتها وذيوع صيتها ، فإنها لا تقل اضطراباً عن المصادر الكلاسيكية في تعليم اسم عدن ، وتمييزها عن غيرها ، وكذا نجدها لا تقل غموضاً عنها ، واضعة أسباباً واضحة التكلف والمبالغة ، بل يضعون - أحياناً - أسباباً لا تخلو من الطرافة .. وليس أطرف من أن تشتهر عدن ، وأن ينسب إليها البر - وهي ما ليس فيها زرع ، ولا ضرع - الغذاء الأساسي للجزيرة العربية بدوها ، وحضرها ، وقال بعض القرشيين يذكر قيس بن معد يكرب ، ومقدمه إلى مكة في كلمة له [٥١] :

[٤٦] الهمданى : الأكليل ، ج ٨ ، تحقيق نبيه أمين فارس ، دار الكلمة ، بيروت ، لاب ، ص ٧٣ . (غير مثبت في ديوان الأعشى).

[٤٧] الأصمسي . عبد الملك بن قریب: الاصمعیات ، تحقيق وشرح أحمد محمد شاکر وعبدالسلام هارون ، ط ٢ ، دار المعارف ، مصر ، ١٩٦٤ م ، قصيدة رقم ٥٠ ، ص ١٥٠ .

[٤٨] البكري ، أبو عبيد بن عبد العزيز : معجم ما استجم من أسماء البلاد والمواقع ، تحقيق مصطفى السقا ، عالم الكتب ، بيروت ، لاب ، ج ١ ، ص ١١٥ .

[٤٩] ولمعرفة المزيد عن البرود اليمانية ، انظر : الخليل بن أحمد الفراهيدي : كتاب العين ، ط ١ ، مؤسسة الاعلمي ، بيروت ، ١٩٨٨ م ، ج ١ ، ص ٣٠٩ ، ج ٢ ، ص ٤٢ ، ج ٤ ، ص ١٨٨ ، ج ٦ ، ص ٣٥ . ابن سيده ، أبو الحسن علي بن أسماعيل : المخصص ، دار الفكر ، بيروت ، ١٩٧٨ م ، ج ٤ ، ص ٧٢ .

[٥٠] أبو حيان التوسي : الإمتاع والوانسة ، صححه وضبطه وشرح غريبة خليل المنصور ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لاب ، ج ١ ، ص ٦٦ .

[٥١] محيرز: المرجع السابق ، ص ٣١ ، نقاً عن الجاحظ ، ج ٤ ، ص ١٨ .

قيس أبو الاشعث بطريق اليمن
لا يسأل السائل عنه ابن من
أشبع آل الله من بر عن

ولعل المتمعن في كل ما تقدم من آراء وتعليقات حول (عدن) يجدها تتفق على أقدمية عدن ، وشهرتها وأهميتها كميناء ومركز تجاري قديم ، وأن هذا الاسم له علاقة بالاستيطان والإقامة والازدهار والرخاء ، حتى في حالة افتتاح الباحث أو القارئ بذلك وبقدم المدينة استنادا إلى ما عثر عليه من كتابات قيمة (نقوش) ، أو ما تردد ذكره في بعض المصادر اليونانية والرومانية (الكلاسيكية) أو غيرها ، فإنه سيظل في حيرة من أمررين هامين هما: أولهما تعليل اسم عدن ، والثاني العهد الذي سميت فيه ، لذلك يبدو أن الرؤى والفرضيات السابقة لمعرفة أصل التسمية غير صالحة ، فلذا كان لابد من تعديلهما ، أو البحث عن منظور آخر ، أو كما قال الأستاذ والباحث عبدالله محيرز^[٣] واستنادا إلى ما سبق فإنه يمكن المجازفة بوضع فرضية لتمحیص المقصود بعدن .. (وهي نظرية) تبدو وجهاً نظر صائبة أو أقرب إلى الصواب .

فهاهو أستاذنا المغفور له عبدالله محيرز قد قام بحصر عدد من المدن والقرى اليمنية التي تسمّت بعدن^[٤] ، حيث وجد عدداً كبيراً من العدنات عدا ما طرأ عليه من تصريف لغوی كالتصغير في (عدين) ، أو تصغير مع التأنيث في (عدinya) : إحدى أرباض تعز ، أو ما دخل عليها أداة التعريف مثل (العدين) في صهبان بالقرب من (إب) ، بل نجد ما لا يقل عن عشرة من العدنات في منطقة محصورة ما بين لبعوس في يافع والضالع ، خمسة منها في الضالع (عدن حمادة ، عدن أهور ، عدن حمير ، عدن أرود ، عدن جعشان) ، وهذه كلها أسماء لقرى في مديرية الضالع بمحافظة لحج . وفي مشكلة من يافع (عدن الشبهي ، عدن الدقيق ، عدن الحجال ، عدن الحوشبي) ، وفي ردان (عدن الراحة).

ويضيف الأستاذ محيرز مديلاً برأيه مساهماً في تفسير سبب تسمية عدن والعلاقة بين تلك العدنات من خلال زياراته ووصف الآخرين لها قائلاً :

"ويفيد من رأى هذه الواقع ودل عليها ، أنها تقع في بطن الجبال بعيدة عن جادة الطريق نائية عن التجمعات العمرانية ، وهي منتجعات اتخذها الناس طلباً للحماية والأمان ، واتسع بعضها حتى شمل أغلب الجبل الذي تربض تحته ، كعدن أبين ، وعدنية تعز ، وعدن التعرك في محافظة إب . واختفى بعضها مثل عدن لاعة في حجة ، وحضرموت في وادي حضرموت ، وعدن المناصب ، وعدن بنى شبيب في نواحي إب ، وبقيت عشرات منها ما بين قرى صغيرة مجهلة مواقعها لأغلب الناس

^[٣] محيرز : المرجع السابق، ص ٣٢.

^[٤] لمعرفة التفاصيل حول التسمية .. انظر : عبدالله محيرز : المرجع السابق ، ص ٣٠-٣٣ . ومحمد أحمد محمد : عدن من قبيل الاسلام وحتى إعلان الدولة العباسية ، ط ١ ، دار الثقافة العربية للنشر ، الشارقة ، وجامعة عدن ، ٢٠٠١ م ، ص ٣٩-٤٤ .

[٥٤] .ويخلص الأستاذ محيرز إلى أن عدناً مصطلح جغرافي لمستوطنات قديمة ، وتنميه عن غيرها بأنها مثوى آمن نظراً لموقعها الحصين ملتصقة بسلسلة جبال عالية صعبة المرتفق [٥٥] .

(وفي نظرنا) أن هذا الرأي قد يعطيانا تفسيراً صحيحاً ، بل ربما كان هذا التفسير الأكثر صواباً حتى الآن [٥٦] ،إذا ما أضفنا الرأي القائل إن وصف جنات عدن ، دار مقام ، وفي الأساطير العربية عن الفردوس "وجنات عدن لا تحمل مصادفة اسم مدينة عدن وهذه المدينة نعتتها النصوص الإغريقية العربية السعيدة بأتم معنى الكلمة" [٥٧] ومثل ذلك نجده في أسفار العهد القديم"وغرس الرب الإله جنة في عدن شرقاً .. وكان نهرٌ يخرج من عدن ليسقي الجنة" [٥٨] .

" وأخذ الرب الإله آدم ووضعه في جنة عدن ليعملها ويحفظها " وعن خروج آدم من الجنة " فأخرجه الرب الإله من جنة عدن ليعمل الأرض التي أخذ منها . فطرد الإنسان ، وأقام شرقي جنة عدن .." [٥٩] .

وفي التصورات القديمة كالسومرية والبابلية والمصرية والفينيقية – الكنعانية والإغريقية وكذلك العبرية ينبغي أن يخصص مكان لراحة الموتى السعداء في بقع تنوع حسب المؤثر ويشار إليها غالباً بجنة الدنيا [٦٠] ، ففي سفر التكوانين هي جنة ((عدن)) في هذه الأماكن الأسطورية تحدد دوماً موقع أنهار وأشجار وأزهار أو أشجار عجيبة ، وظروف تلك الفترة في هذه الأماكن كانت مواتية لنمو أشجار الطيب (اللبان والمر والصبر...) التي تقطع أحياناً [٦١] .

[٥٤] محيرز : المرجع السابق ، ص ٣٢ .

[٥٥] محيرز : المرجع السابق ، ص ٣٢-٣٣ . محمد أحمد محمد : المرجع السابق ، ص ٤٢-٤٣ .

[٥٦] التفسير الأكثر صواباً ... لا يعني ذلك بأنه القرار الحاسم حتى الآن.

[٥٧] العواضي والادهم : المرجع السابق ، ص ٥٨ .

[٥٨] التوراة ، سفر التكوانين ، الاصحاح الثاني ، فقرة أو آية ١٠، ٨ .

[٥٩] التوراة ، سفر التكوانين ، الاصحاح الثاني ، فقرة ١٥ .

[٦٠] التوراة ، سفر التكوانين ، الاصحاح الثالث ، فقرة ٢٤، ٢٣ .

[٦١] العواضي والادهم : المرجع السابق ، ص ٧٠ .

[٦٢] أن رواية يهودة عن أصل الإنسان (سفر التكوانين ٤: ٢) التي يمكن أنها كتبت حوالي القرن ٩ حتى القرن ٨ ق.م ، تحدد بشكل غير دقيق جنة عدن في "الشرق" (سفر التكوانين ٨: ٢) ومنها يخرج نهر ينقسم إلى أربعة فروع ، الأول يبيشوون ، وهو ما يذكر باسماء أنهار عربية (وادي بيش ، وادي فيشن) ويلتف هذا الفرع حول بلدة حويلة ويبدو أنها في بلاد اليمن حسب سفر التكوانين (٩: ٢٩)) وربما أنها خولان . أما كلمة عدن فتشير إلى فكرة السعادة والهناء والرفاه .. انظر : ابن قتيبة : المعارف ، ص ٩-١٢ . والعواضي والادهم : المرجع السابق ، ص ٥٨ .

ويحسن بنا الاكتفاء بهذا القدر من الإشارات عن الفردوس أو جنات عدن ووصفها ، كدار مقام ، أو مثوى آمن ومربيح ، أو مكان لراحة الموتى السعداء .. ونستدل من كل ذلك أن عدن أسم جغرافي أي مكان ، بل يبدو أن ذلك ينطبق على المكان الذي نشأت فيه مدينة عدن ، فالمكان (عدن) عبارة عن شبه جزيرة ، تمتد كراس صخري في مياه خليج عدن ، وهي بمثابة بركان خامد ، يربطها بالبر بربخ رملي ، وتحيط بفوهة البركان سلسلة جبلية بركانية تكونت خلال الزمن الجيولوجي الثالث مع تكون أخدود البحر الأحمر ، وقد أسهمت في تشكيل تضاريس مدينة عدن وخليجها . تلك السلسلة الجبلية تحيط بها من جهة الشمال والغرب والجنوب الغربي تتفرع من جبل العر - عمودها الفقري - [١٣] قال عنه أبو الفداء [١٤] : "... عدن في ذيل جبل كالسور عليها وتهامة سور البحر" ، لقد التقت هذه السلسلة الجبلية حول مدينة عدن ، وكأنها بذلك تمنع الأخطار عنها ، وتحميها من أي غارات أو غزوات قد تتعرض لها المدينة ، فقال المقدسي [١٥] : "... فجعلت من عدن بلدًا جليلًا عامرًا آهلاً حصيناً" ، ولهذا قال عنها ابن خلدون [١٦] : "وعدن هذه من أمنع مداين اليمن ، وهي على ضفة البحر الهندي ، وما زالت بلد تجارة من عهد التتابعة" .

٧- الخلاصة :

ويتبين لنا مما سبق أن (الطبيعة) قد خصّت مدينة عدن بموقع آمن تحيط بها الجبال وكأنها سورٌ عليها .. وهو الأمر الذي جعلها تتمتع بموقع جغرافي متميز ، فهيأها لتكون مدينة تجارية مهمة تؤدي دور الوساطة التجارية بين الشرق والغرب منذ عهود قديمة .. ولكن هل يمثل ذلك القرار الحاسم في أصل المدينة عدن ؟ لا شك في أن الإجابة بلا لأن الموضوع أو التعرّفات مازالت قائمة في ذلك ، فمثلاً لو سلّمنا بفرضية المقصود بعدهن (كما سبق توضيحها) كمصطلح جغرافي لموقع أو مستوطنة ذات خصائص معينة ، إذاً من الذي أطلق اسم عدن على هذا الموقع ؟ وهل نستطيع أن نعرف العهد الذي سميت فيه؟ وهكذا يبدو أن الإجابة عن ذلك ستظل أمراً صعباً للغاية ، في ظل غياب التقييمات الأثرية والنقاشية [١٧] ، أو البحث عن

[١٣] شمسان ، إيمان : ازدهار تجارة مدينة عدن في العصر الأيوبي والرسولي ، عند الندوة العلمية الأولى عدن ثغر اليمن (١٥-١٩٩٩ م)، دار جامعة عدن ، ج ١، ص ٣١٩ . وعن جبل العر: هذا الجبل يمثل كل كتلة شبة جزيرة عدن . كما عرف أيضاً بجبل التucker ، واليوم يعرف بجبل شمسان .. وللمعرفة المزيد انظر : محيرز ، مرجع سابق ، ص ٥٧، ٥٦، ٤٠ .

[١٤] أبو الفداء ، عماد الدين اسماعيل: تقويم البلدان ، دار الطباعة السلطانية ، باريس ، ١٨٤٠ م ، ص ٩٣ .

[١٥] المقدسي: أحسن التفاسيم ، ص ٨٥

[١٦] ابن خلدون ، عبد الرحمن : تاريخ .. ، ط١ ، دار الفكر ، بيروت ، ١٩٨١ ، ج ٤ ، ٢٧٨ .

[١٧] تحدث أستاذ الآثار المشارك (د.أحمد باطاطيغ) عن موضوع البحث والتقييم الأثري في عدن (في الندوة العلمية الأولى - عدن ثغر اليمن - ١٥-١٧-١٩٩٩ م - جامعة عدن) ووضح بأنها لم تجد الاهتمام والعناية فيما يخص تدوين تاريخها وتثقيق ووصف معالمها ، كما هو الحال في المدن التاريخية القديمة بالرغم من قدمها .. وقال : منذ عام ١٩٦٧ م وحتى اليوم لم تلق أي اهتمام فيما بخصوص البحث

مخطوطات لم تدرس بعد، التي يمكن أن تكشف لنا عن حقائق مؤكدة وحاسمة في أصل التسمية وتحديد عمر المدينة التاريخية. ولعلني أفتح بذلك أفقاً جديداً للبحث ينطوي إلى بعض الجوانب التي تقطع مع تاريخ عدن القديم كأن نرصد تفسيراً حاسماً لنشوء المدينة وأصل تسميتها.

الملاحق :

عدن ... بعض معالمها التاريخية :

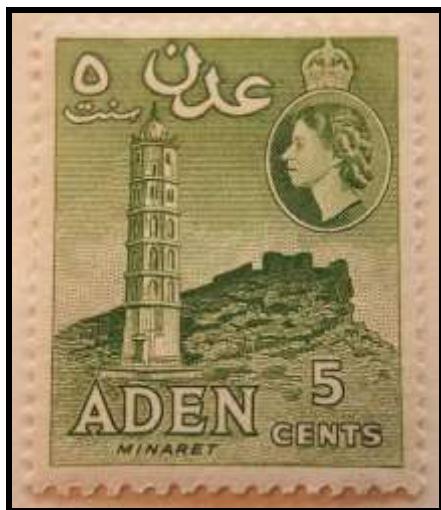
١) الصهاريج :-



بناؤها مرّ بمراحل تاريخية متعددة أقدمها قبل الإسلام

٢) المنارة :

والتنقيب عن آثارها ونقوشها ، حتى مباني متاحفها وما بداخلها يعاني من عدم الاهتمام .. (انظر البحث في الجزء الثاني من كتاب الندوة بعنوان العمل الآثاري في عدن . ص ٦٨٩ - ٧٠٧)



منارة باقية لمسجد قديم تهدم ، وينسب بناء المنارة والجامع المهدوم إلى الخليفة الأموي عمر بن عبد العزيز (٦٨١ - ٦٦١ م)

(٣) قلعة صيرة



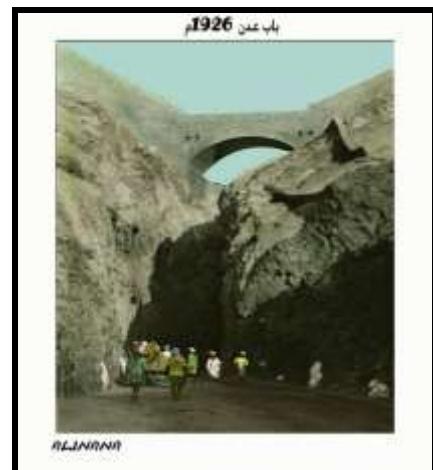
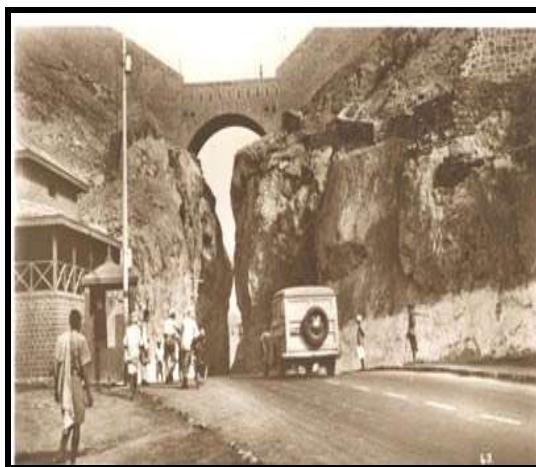
القلعة



القلعة من الأعلى

لا يعرف تاريخ إنشائها الحقيقي ويقال أنها أنشئت مع بدايات ظهور ميناء عدن القديم (قبل الإسلام أو بعده بقليل) وأخرون يرون أنها تعود إلى عهد المماليك (القرنين ١٥ - ١٦ م)

(٤) باب عدن



باب البر أو باب عدن - مررت عملية توسيعه بمراحل عدة آخرها في ١٧ أبريل ١٩٦٣ م عندما تم تججيره بالдинاميت لتوسيعه الطريق

٥) دور العباده :

- معبد أو مهلكة الفرس



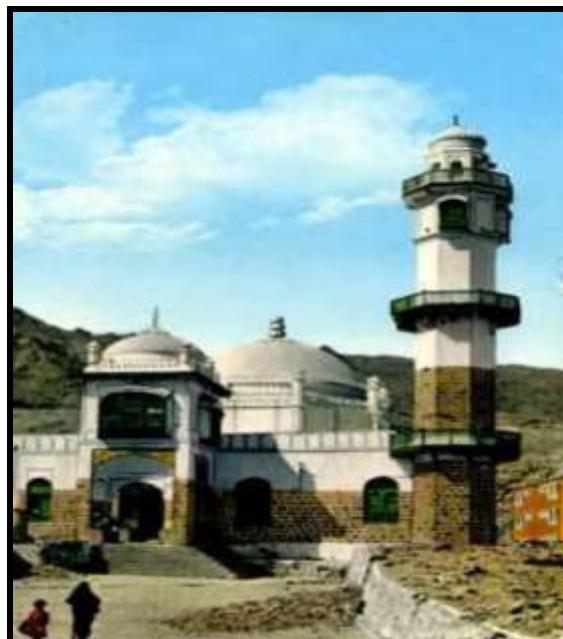
للفرس دور عبادة يطلقون عليها اسم برج وليهم برجان ، برج الهواء (معبد الطويلة) ، وبرج النار أو برج الصمت المشيد على الهضبة وهو المخصص لإتمام طقوس الموتى - المقبرة (مهلكة الفرس)



توجد في عدن عدة كنائس ومنها :

شيد هذا المبنى في القرن ١٩ م فترة الاحتلال البريطاني وكان المبنى كنيسة أنجليكانية - بروتستانية ، ولاحقاً المجلس التشريعي ثم تحول إلى مقر المركزي اليمني للأبحاث الثقافية ثم مقر للเทคนيك الجنائي ، ومؤخراً تم ترميمه .

٦- مسجد العيدروس :



من أقدم مساجد عدن ، عمارة المسجد أو جامع العيدروس حوالي سنة ٨٨٩ هـ - ١٤٨٤ م



يتبيّن من الخريطة موقع عدن